مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 13، عدد رقم: 02، جوان 2024، صص: 183- 202
تاريخ الاستلام(2023/01/04)تاريخ القبول (2024/05/26)تاريخ النشر (2024/06/30)

الشعر والسلطة في المجتمع الإسلامي الأول (المجتمع النبوي)

Poetry and Authority in the Early Islamic Society (Prophet's Society)

بن طاطة محمد.
أحمد بن يحي الونشريسي، تيسمسيلت، الجزائر bentata16@gmail.com

ملخص:

شكّلت الحركة الشعرية في العصر الإسلامي الأوّل تجسيداً فعلياً لجدلية الشعر والحرب عند ابن سلام الجمحي، إذ أخرجت إلى أسماع الناس أصواتا شعرية لم تكن معروفة من قبل، وأوقفت موجة الملاسنات الدائرة بين شعراء يثرب بصفة مؤقتة، لتوجّههم نحو وجهة غير مسبوقة، إذ التحموا مع شعراء مكة، ليكتبوا فصلا جديدا من الحركة الأدبية العربية يختلف إلى حدّ ما في شكله ومعانيه عما ألفته الذائقة العربية، فتشكّلت في هذه الفترة مدوّنة مهمّة صوّرت حقبة مفصلية من التاريخ العربي القديم، وكانت لها امتدادات حقيقية أثّرت على الحركة الفكرية في العصور اللاحقة.

كلمات مفتاحية: حركة شعرية، عصر النبوة، سلطة، شعر سياسي. يثرب، قريش.

Summary:

The poetic movement during the early Islamic period was a tangible manifestation of the dialectic of poetry and war, as described by Ibn Sallam al-Jumahi. This movement brought to the public's attention poetic voices that were previously unknown and temporarily halted the ongoing verbal exchanges between the poets of Medina (Yathrib). It redirected them towards a novel direction, as they aligned themselves with the poets of Mecca, thereby writing a new chapter in the Arabic literary movement that differed to some extent in its form and meanings from the familiar Arabic

المؤلف المرسل: بن طاطة محمد الإيميل:bentata16@gmail.com

literary taste During this period, an important corpus was formed, which depicted a pivotal era in ancient Arab history. This corpus had genuine ramifications that influenced the intellectual movement in subsequent eras.
Keywords: Poetic movement, Prophetic era, Authority, Political poetry, Medina (Yathrib), Quraysh

مقدّمة: يُجمع مؤرّخو الأدب العربي القديم على تقسيم الحركة الأدبية إلى عصر جاهلي وإسلامي وعباسي، إلا أن الغوص في دراسة هذه الأعصر يفصح عن تقسيمات داخلية فيها، ينبغي التوقّف عندها ورصد العوامل المؤثّرة فيها، ومدى انعكاسها على المدوّنة الشعرية، فمما يُسجّل مثلاً على العصر الإسلامي(صدر الإسلام وبني أمية)أنّه افتتح بنقائض بين شعراء يثرب(المدينة المنورة) وشعراء قريش، ثم سجّلت مدوّنة مهمّة بعد فتح مكة عُرفت بشعر الوفود. ثم مدوّنة أخرى عرفت بشعر الفتوح رافقت خروج المسلمين من الجزيرة العربية، ثم مدوّنة أخرى وثّقت للخلافات الحادثة بين شيعة علي ﷺ ومخالفيه(الخوارج) ثم زمن بني أمية وما شهده من حركة شعرية كبيرة.

سنقتصر في هذا البحث على الفترة الأولى من ظهور الإسلام(عصر النبوّة)فقد كانت-رغم قصر مدتها-مؤذنة بتحوّلات عميقة في أداء شعراء يثرب،فقد كان للتحول السياسي الذي أحدثه ظهور الإسلام والحضور الكاريزماتي القوي لشخص النبي صلى عليه وسلّم أثراً فعّالاً في إنهاء الخصومة التقليدية التي اتّصلت بين شعراء الحيّين(الأوس والخزرج)، وتوجّيههم نحو الخصم الجديد(قريش وأحلافها)، فكانت هذه الوِجهة فاتحة لنزاعات جديدة أفرزت مساجلاتٍ شعرية زاحمت فيها العقيدةُ الدينيةُ العصبيةَ القبليةَ، واستمرّت في التفاعل وفق طابع جدلي طيلة عصرٍ كامل، ويظهر هنا بشكل جليّ التحوّل الديني الذي حصل في الحياة العربية القديمة وتأثيره المباشر على الحياة السياسية البسيطة التي كانت تحكم حياة العرب، والتي نقلت أهل يثرب من سلطة القبيلة إلى سلطة النبوة، ويُطرح هنا بشكل جلّيّ تساؤل عن مدى تأثير سلطة النبوة الممثّلة في شخص النبي صلى عليه وسلّم في تغيير الواقع الشعري في بيئة يثرب، واصطناع شخص الشاعر وتحويله من صوت للقبيلة إلى صوت للجماعة(الأمة)، وما أحدثه ذلك التغيير في الأداء الفني للشعراء، وإثراء المدوّنة الشعرية العربية؟

1- الواقع الشعري في بيئة يثرب:

مثّل الواقع الشعري في بيئة يثرب تصديقاً فعليًا لنظرية ابن سلاّم الجمحي، حول جدلية الشعر والحرب، إذ قال:"...و إنّما كان يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء، نحو حرب الأوس والخزرج..."1، وتأكيد ذلك أنّ الفترة الأخيرة من العصر الجاهلي كانت فترة صراعات بين

الإخوة الأعداء(الأوس والخزرج)، رافقتها حركةٌ شعريةٌ مميّزة، حقّق فيها شعراء يثرب(القحطانيين) الاستثناء بالتميّز في فنّ الشعر، وسط القبائل العدنانية التي أخرجت ساحاتها ألمعَ الأسماء الشعرية في تاريخ الأدب العربي القديم2.

شهدت يثرب في الفترة الأخيرة من العصر الجاهلي نزاعات قبلية متّصلة، تمثّلت في سلسلة من المناوشات عرفت باسم(الأيّام)"...وهذه الأيام ليست حروبًا بالمعنى المفهوم من الحرب، فإنّ منها ما هو مجرّد مناوشات..."3، إلاّ أنّ الطبيعة الحادّة التي جُبلت عليها العقلية العربية الجاهلية جعلتها تتكرّر بشكل متواصل؛ حيث إنّها"...إذا ما انتهت بقيت القبيلة المنتصرة تفتخر بيومها، وبأيّامها، وبأسماء أبطالها الذين رفعوا اسمها فيها..."4.

سجّلت المصادر الأدبية القديمة تراجم لشعراء يثربيين سادوا قبائلهم، وسادةً منهم برعوا في مجال الشعر، ويذكر منهم على سبيل التمثيل من الأوس: أبو القيس بن الأسلت(ت1ه)5، وقيس بن الخطيم(ت 2ق ه)6، وعدي بن خرشة الحُطمي(ت؟)7، ومن الخزرج يُذكر: عمرو بن طلّة الخزرجي(ت؟)8، وعمرو بن الإطنابة الخزرجي(ت؟)9، وكذلك الثلاثة المقدّمون عند النبي صلى الله عليه وسلّم: عبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك، وحسان بن ثابت الذين كانوا سادةً في عشائرهم، فابن رواحة كما وصفته المصادر"...عظيم القدر في الجاهلية والإسلام، وكان يناقض قيس بن الخطيم في حروبهم.."10، وكعب بن مالك فارس قومهكان"...من أكابر الشعراء من أهل المدينة، اشتهر في الجاهلية..."11، وحسان بن ثابت أشهرهم على الإطلاق في الجاهلية والإسلام، إلاّ أنّه لم يكن من الفرسان، فقد"...كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي صلى الله عليه وسلّمفي أيّام النبوّة، وشاعر اليمن كلّها في الإسلام، وكان مع ذلك جبانًا..."12، غير أنّ شاعريته التي أخذت طابعًا هجوميًا حادًا حجبت كثيرًا من القدح13 الذي لحق بشخصه.

2- الشعر والسلطة في المجتمع النبوي:

كانت يثرب في حاجة إلى دعوة ثورية تُغيّر نمط حياتها اليومية المتميّز بالصراعات المتكرّرة، وتُمكّنها من دفع المخيّلة الاجتماعية بعيدًا عن الواقع المعيش، وتُوجّهها نحو المستقبل للاستثمار في القوة الأدائية التي يُحقّقها الحلم الجماعي عندما يتعزّز بقوة داعمة"...تقذف المخيّلة خارج الواقع نحو "هناك"..."14، وبالفعل كان هذا الـ"هناك" عبارة عن دعوةٍ دينية، امتلكت يثرب جزءاً من حقيقتها؛ فقد كان يهودها يتوعّدون بسلطة مرتقبة تسندها قوّة السماء(النبي المنتظر)15، وفي المقابل كان عربُها(الأوس والخزرج) يتَسمّعون

الوعيد وهم بين مصدّقٍ ومكذّب؛ إلى أن أصبح الأمر واقعًا(ظهور الدعوة الإسلامية)، فلم يتردّدوا في احتضانه والاستثمار في فعاليته.

احتضنت يثرب الدعوة الجديدة، وتخلّت عن اسمها القديم لصالح تسمية مستحدثة (المدينة المنوّرة)، كما أعلنت ولاءها لعقيدة التوحيد التي طالما احتكرها اليهود، وتحمّلت كذلك التغيير في التركيبة البشرية الذي خلق تكتّلاً اتّخذ اسم المهاجرين، وفي المقابل انتظم عرب يثرب في تكتّلٍ مماثل، باركته السلطة الدينية، وخلعت عليه تسمية "الأنصار"، لتشهد بلاد العرب لأوّل مرّة تحوّلاً من سلطة القبيلة إلى سلطة النبوّة.

أظهرت السلطة الجديدة(المدينة) حضورًا فعليًا في المنطقة، وأصبحت تشكّل تهديدًا حقيقيًا للقوى القديمة (القبائل العربية واليهودية)، وخاصة قريش(حارسة الكعبة ورائدة التجارة) التي تضرّرت بشكلٍ كبير لأنّ"...الرفض الصريح للآلهة المحلية كان مضرًا بالتجارة..."16، فلم تحتمل ذلك، ولم يكن هناك بديل عن المواجهة(القوّة)؛ إلاّ أنّها لم تفِ بالغرض المطلوب، فسرعان ما اتّضح عُقمُ سبيل القوّة المادية في ثَنْيِ النفوس التائقة إلى العدالة، فـ"...القوّة الخشنة لا تنجح بدون ممارسة إقناع..."17.

ومن أجل ذلك افتتحت قريش فصلاً ثانيًا من المواجهة، تركّز في منطقة البلاغة إذ استنفرت شعراءها ليقفوا إلى جانب فرسانها، لتقوم الوسيلة الإقناعية إلى جانب القوّة الخشنة، جاء في كتاب الأغاني قولٌ لأحد سادة قريش "صفوان بن أميّة" يستثير أحد شعرائهم بقوله:"...إنّك امرؤٌ شاعر، فاخرجْ معَنا فأعِنّا بنفسك..."18، فعلى هذا النحو كان خروج الشعراء إلى جانب الفرسان، لتبرير منطق القوّة، وحماية مصالح الطبقة المسيطرة، لأنّه في مثل هذه الأوضاع"...تصير المصالح الخاصة لطبقة خاصة هي نفسها مصالح كونية..."19 فيُستنفر لها الشعراء بما لهم من أثر بالغ في نفوس العامّة من الناس.

وفي المقابل لم تكن الدعوة الإسلامية في حاجة إلى الشعر ليساندها، إذ"...لم تحفظ لنا الأخبار شعرًا للذين لَبّوا الدعوة، يُعبّر فيه أحدهم عمّا تركته الظاهرة في نفسه من نوازع فكرية أو إيديولوجية.."20، إلّا أنّه لّما تجاوزت الدعوة مرحلة التبشير إلى مرحلة إنشاء السلطة، اصطدمت بنمطٍ من المقاومة كان الشعر مادّتها الرئيسة، فلم يبق أمام السلطة الجديدة خيارٌ آخر، غير اصطناع آلية ردٍّ مماثلة(الشعر) لتحقيق مزيدٍ من المشروعية، لأنّه"...حيثما توجد مطالبة بالمشروعية يكون اللّجوء إلى بلاغة الخطاب..."21، والمتمثّل في المواجهة الشعرية، والتي

أصبحت الحاجة إليها ملحّة، وتردّدت على ألسنة العامّة(جماعة المسلمين)، فقد"...قال قائل لعليّ بن أبي طالب: اهجُ عنّا القوم الذين يهجوننا، فقال: إنْ أذِن لي رسول الله ﷺ فعلت..."22.

لم يكن عليّ(الشاعر القرشي) ليَفِيَ بالغرض ويُدير مساجلةً شعرية في هذا المستوى، وعرف النبي صلى الله عليه وسلّم ذلك، فعندما قيل له يا رسول الله ائذن لعليّ كي يهجو عنّا هؤلاء القوم الذين قد هجوْنا قال –في معنى قوله-:"...إنّ علياً ليس عنده ما يُراد في ذلك منه..."23، فمثل هذه المواجهة تحتاج إلى شعراء خَبِروا مجال الحرب والشعر، مثل شعراء الأوس والخزرج؛ إلاّ أنّ الارتباط السياسي الذي نشأ بموجبه المجتمع الإسلامي الجديد لا يُلزم الأنصار بالمواجهة الخارجية سواءً عسكرية أو شعرية، فلذلك"...كان رسول الله صلى الله عليه وسلّم يتخوّف ألاّ تكون الأنصار ترى عليها نصره إلاّ ممن دهمه بالمدينة..."24.

لم يكن الحلف المحدث في الدولة الفتيّة يُلزم الأنصار بالقيام بعملٍ هجومي، فدورهم يقتصر على الذّود عن النبيّ صلى الله عليه وسلّم وأصحابه داخل حدود المدينة، كما لم يكن مُلزمًا لشعرائها بالاشتراك في المواجهة الشعرية -التي أصبحت مفروضة عليهم-، ولم يكن بين المهاجرين القرشيين من يقوم بها، فكانت دعوة النبي صلى الله عليه وسلّم لشعراء المدينة دعوةً مُقتضبة وفيها كثير من التحفّظ "قال: ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلّم بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم..."25 فلم يتأخّر شعراء الأنصار في إجابة الدعوة، والتفاعل معها بانسجام تّام منذ اليوم الأوّل، ممّا شجّع النبي صلى الله عليه وسلّم(باعتباره السلطة الجديدة)على تحقيق رؤيته، والتأسيس لآلية دفاعٍ أدبية وفق مقاييس الدعوة الإسلامية.

3- التأسيس لدور الشاعر في المجتمع النبوي:

فصلت الدعوة الإسلامية في أمر الشعر في وقتٍ مبكّر من ظهورها، قال الله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاء يَتبعُهُمُ الْغَاوُونَ{224} أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ{225}وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ{226}إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً{227}﴾[سورة الشعراء] فاندمج الشعراء المسلمون في المنظومة الجديدة بشكلٍ تلقائي وإيجابي، وشكّلت استجابتهم الطواعية مساحة حركة واسعة أمام النبي صلى الله عليه وسلّم لإنفاذ وجهة نظره(الشرعية الدينية) على المادة الشعرية، واستثمارها لإضفاء مزيد من المصداقية على الدعوة الجديدة، وذلك لأنّ"...كلّ سلطة تبحث في الواقع على إقرار ذاتها..."26، وذلك باستثمار كلّ الخيارات المُتاحة أمامها لتجسيد رؤيتها وتحقيق غاياتها.

كشف تشخيص النبي صلى الله عليه وسلّم للواقع الشعري في المجتمع الإسلامي الأوّل عن رؤيةٍ نقدية نافذة وسليمة؛ فقد جاء استثناؤه لشاعرية عليّ(القرشي)، والإقرار بعدم جَدواها في مثل هذه المواجهة مُصدّقًا لأحكام المتأخّرين ورؤيتهم للحالة الشعرية القرشية(الحضرية)، فقد ثبت أنّ"...العرب تُقرّ لقريش بالتقدّم في كلّ شيءٍ عليها إلاّ في الشعر، فإنّها كانت لا تُقرّ لها به..."27، ومن هذا المنطلق كان التوجّه إلى شعراء الأنصار الذين شكّلوا في السابق ظاهرة مميّزة(نقائض الأوس والخزرج) في المجتمع العربي القديم، فمثّلت خِبرتهم في مجاليّ الحرب والشعر، واستجابتهم لتوجّهات السلطة النبوية مِهادًا مِثاليًا لتحقيق فعالية الشاعر من منظور التوجّهات السياسية/الدينية الجديدة.

استشعر النبي صلى الله عليه وسلّم الموافقة المطلقة من شعراء الأنصار للانخراط في هذه المواجهة، بالرغم من أنّ شروط البيعة لا تُلزمهم بذلك، ثم شرع في التأسيس لدور الشاعر في الواقع وفق الرؤية الدينية الجديدة والحاجة السياسية، ليرتفع أداؤه من صوت للقبيلة إلى صوتٍ للجماعة، وذلك لأنّ"...هاجس القبيلة قوام الشعر الجاهلي بدأ ينازعه هاجس الجماعة..."28 فكانت دعوته للشعراء وِفق معايير تُحقّق الفعالية القصوى في الصراع.

استثنى النبي صلى الله عليه وسلّم الشعراء القرشيين(المهاجرين)، واتّجه نحو شعراء الأنصار، ليصطنع منهم صوتًا للجماعة، وِفق نظرة مستحدثة تتّسع لتعاليم الدين الجديد، لأنّ"...الإسلام أراد لشاعر القبيلة أن يصير شاعر الأمة، فلم يهدر بهذا ذاتية الشاعر، بل أراد لها أن ترْحَب، فلا تعود محدودة بنطاق الأسرة والقبيلة..."29، ودون التخلّي عن بعض المقاييس العربية التقليدية التي تجمع بين الشاعرية والرجولة، فقد ثبت أنّ"...الرجل عند العرب إذا كان شاعرًا، وكاتبًا، وسابحًا، وراميًا سمّوه الكامل..."30 فوِفق هذه الميزات أو بعضها، كانت رؤية النبي صلى الله عليه وسلّم في استحداث موقعِ شاعر السلطة، واستعراض هذه الصفات على أسماء الشعراء الفاعلين في المجتمع الإسلامي الأوّل(علي بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك، وحسان بن ثابت).

4- قراءة في أسماء الشعراء الفاعلين في المجتمع النبوي:

4-1 علي بن أبي طالب: الاختيار الأوّلي

اتّجهت أنظار الفاعلين في المجتمع النبوي نحو علي بن أبي طالب، ليكون صوتاً للمجتمع المتشكّل بعد الهجرة من مكة، والتي كانت حدثاً مِفصلياً في تاريخ العرب القديم؛ ومُؤسّساً لنمطٍ مغاير من العلاقات(الاجتماعية/السياسية)، على اعتبار أنّ"...الهجرة من المدينة

الكافرة/الضالة(مكة) [هي] القطيعة مع الوسط القبلي..."31، ثم تمّ التأسيس لمجتمع ليس له مثالٌ سابق في المنطقة كلّها، يقوم أساساً على رابطة الدين؛ ويتجاوز الروابط القبلية؛ فكانت هذه المرحلة الأولى تأسيسيةً لمجتمعٍ جديد، قدّم مفهومًا مُغايرًا لدور السلطة، فالتعاليم تُتلقّى فيه مباشرةً من السماء(الوحي)، ولا مجال للاجتهاد، والأفراد مشدودون بشكلٍ دائم إلى الكاريزما النبوية فيما يستجدّ من أحداث.

كان الجديد هذه المرّة بوادر معركة شعرية حرّكتها الجبهة القرشية المعادية، وسيُطرح اسم عليّ بن أبي طالب كمرشّح رئيس لينهض بدور الشاعر (صوت السلطة)

في المجتمع الناشئ حسب التقاليد العربية القديمة، مثلما كان أبوه أبو طالب صوتاً "لبني هاشم" في مواجهة بقية قريش32، فمكانة عليّ مميّزةً في المجتمع النبوي، بما له من سابقةٍ في الدعوة وقرابة لصيقة بشخص النبي صلى الله عليه وسلّم، وفروسية معروفة، وفوق ذلك كان خطيبًا، وشاعراً، وكاتباً، وهذه الصفات إذا اجتمعت في الرّجل-حسب التقاليد العربية القديمة- فهو الكامل؛ وتُؤهّله لأن يكون صوتًا لجماعته، إلاّ أنّ الوضع التأسيسي الذي كان يمرّ به المجتمع النبوي جعل الأفراد مشدودين إلى توجهات النبي صلى الله عليه وسلّم في كلّ أمرٍ يعِنّ لهم، فهذا عليّ القرشي(الشاعر والفارس) يشترط تزكية النبي صلى الله عليه وسلّم لمهاجاة قريشّ عندما انتدبه القوم لذلك، فقال:"...إنْ أذِن لي رسول الله ﷺ فعلت..."33.

كان استئذان عليّ بن أبي طالب في المهاجاة سلوكاً ايجابياً اقتضته متطلبّات الحياة الجديدة، فالسلطة(الدعوة الإسلامية) في هذه المرحلة تسعى إلى خلق تقاليد مستحدثة، تتميّز بفرض الانضباط الشديد في صفوف أتباعها، والاستثمار في قدراتهم الفردية، فالواقع المعيش يفرض مواجهةً شعرية، والخيارات متاحة أمام النبي صلى الله عليه وسلّم، وعليه أن ينتدب لهذه المهمّة أحد أصحابه من الشعراء.

لم يكن النبي صلى الله عليه وسلّم يقول الشعر أو يحفظه، كحال كثير من العرب، وذلك لأسباب تتعلّق بخصوصية النبوّة، فقد كان كما وصفه القرآن الكريم:﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ﴾[يس آية69]، لكن هذا الحكم القرآني لم يشكّل عائقاً أمامه في اتّخاذ موقف من الاختيارات الشعرية المتاحة، وتزكية الأسماء التي تقوم بالمواجهة، فالأمر كان يتعلّق بالدرجة الأولى بإحداث الفعالية القصوى في النزاع والتأثير في الخصم(المهاجاة)، وليس تتبّع الجوانب الفنّية(جودة الشعر).

لم ينل عليّ بن أبي طالب(ر) التزكية المطلوبة ليكون شاعر السلطة(النبي صلى الله عليه وسلّم)، فقد جاء في معنى قوله صلى الله عليه وسلّم:"...إنّ علياً ليس عنده ما يُراد في ذلك منه..."34، فلم تكن شاعريته لِتصمد في مثل هذا النزاع، ففاعليته في الهجاء تقع دون فاعلية الأنصاريين الثلاثة الذين استجابوا للدعوة الإسلامية، و وضعوا شاعريتهم في خدمتها.

كان الأنصاريون الثلاثة أهل سابقة في مجال المساجلات الشعرية، فقد أداروا إحدى أهمّ المناقضات الشعرية الجاهلية(نقائض الأوس والخزرج) بكفاءة عالية، فلا بأس إذاً من استثمارها في هذه المواجهة التي تستدعي طاقةً هجائية تُقوّض دفاعات الخصم وتُسفّه ادّعاءاته، لأنّ"...زعزعة ثقة الخصم في عدالة وصلاح قضيته أو تقويض معتقداته وتسفيهها، ربّما تكون أنجع من هزّ السلاح في وجهه..."35، كان هذا الاختيار الثاني(شعراء الأنصار) موفّقاً، فقد أثبت هؤلاء الأنصاريون الثلاثة فاعليةً مشهودة في النزاعات الشعرية التقليدية العربية التي قامت على الفخر بالأنساب، والتغنّي بالأيام؛ إلاّ أنّ تداعيات الصراع الجديد تطلّبت فحصاً لتجاوب قدراتهم الشعرية مع توجيهات النبي عليه السلام(السلطة)، والذي سيكون له-قطعاً- رأيٌ في الأداء الشعري المرتقب.

كان انتداب النبي صلى الله عليه وسلّم لشعراء الأنصار يهدف إلى اصطناع آلية دفاع في وجه تحرّشات شعراء قريش وأحلافها، فمما رُوي"...أنّ النبي صلىّ الله عليه وسلّم لـمّا قدم المدينة تناولته قريش بالهجاء، فقال لعبد الله بن رواحة: رُدّ عنّي، فذهب في قديمهم وأوّلهم، فلم يصنع في الهجاء شيئاً، فأمر كعب بن مالك فذكر الحرب...فلم يصنع في الهجاء شيئاً، فدعا حسان بن ثابت فقال: اهجهم..."36، أجمعت أغلب الروايات التي ذكرت انتداب النبي صلى الله عليه وسلّم لشعراء الأنصار لهجاء خصومهم على تقديم الشعراء وِفق ترتيبٍ ثلاثي، يُقدّم ابن رواحة ثم كعب بن مالك ثم حسان بن ثابت، فعكس هذا الترتيب النمطي رؤية النبي صلى الله عليه وسلّم الأوّلية لأداء الشعراء الأنصاريين، والتي ستكتمل بوضعهم قيد التجربة للحصول على أقصى درجات الفاعلية أثناء الصراع.

كان النبي صلى الله عليه وسلّم بصدد اصطناع آلية دفاع(شاعر السلطة) وِفق رؤية الشريعة التي فرضت رُؤىً ثورية على كلّ التقاليد الموروثة، إلاّ أنّ هذا الترتيب الذي ذُكر به الشعراء لم يخرج عن الرؤية التقليدية لاكتمال الرجولة في المجتمع العربي القديم، والتي تشترط الشاعرية والفروسية لاكتمال الرجولة37، كان هذا الترتيب في مرحلةٍ أولية؛ إلاّ أنّ الأمر لم يتوقّف عند هذا الحدّ؛ فقد أخضع النبي صلى الله عليه وسلّم الشعراء الثلاثة

للتجربة(الاستماع لأدائهم)، فلم يستقرّ حينها هذا الترتيب الأوّلي، وتغيّرت وجهة النظر إلى أدائهم الشعري، ولعلّ قراءة في بعض تفاصيل حياتهم تُوضّح كيف أسقط الواقع ذلك الترتيب.

4-2 عبد الله بن رواحة: الاختيار المِثالي

وجّه النبي صلى الله عليه وسلّم دعوته إلى عبد الله بن رواحة الأنصاري، بعدما تكشّف له خُلوّ معسكر المهاجرين من شاعر يصمد أمام المهاجاة التي كان ينبغي أن يضطلع بها رجلٌ من قريش، ويسدّ تلك الثغرة(الالتجاء إلى يثرب) التي أصبحت مَطْعناً على محمد صلى الله عليه وسلّم وأصحابه فقد"...كان ترك الإنسان لقومه وقبوله بالحماية الدائمة من الغرباء بالنسبة إلى العرب أمراً مُعادلاً للكفر والجحود..."38، إلاّ أنّ هذا الأمر أصبح واقعاً، فهناك مجتمعٌ في طريق التشكّل، وقد أعلن منذ البداية كفره بكثير من مسلّمات الحياة القبلية وتقاليدها؛ ولعلّ من متطلّبات الحياة الجديدة اصطناع شخص الشاعر الذي سيكون ناطقاً باسمها، وسيبقى حتماً على عاتق السلطة الممثلة في شخص النبي صلى الله عليه وسلّم انتداب الشعراء الذين أعلنوا ولاءهم للدين وفق مقتضيات الوضع الراهن، والذين كانوا في فترة راحة مؤقّتة، بعدما علّقت الدعوة الإسلامية أسباب النزاع بينهم.

نقلت المصادر القديمة محاورة النبي صلى الله عليه وسلّم للشعراء، ودعوتهم لتشكيل آلية دفاع أدبية بروايات مختلفة، لكنّها تكاد تُجمع على ترتيبٍ نموذجي، يقدّم ابن رواحة، ثم كعب بن مالك، ثم حسان بن ثابت. كان واضحاً أنّ هذا الترتيب الأولي الشعراء لم يتّخذ صفة الشاعرية كمقياس رئيس، فحسان بن ثابت طار ذكره بين معاصريه، وعند المتأخّرين، قال ابن سلام:"...شعراء القرى العربية وهي خمس...وأشعرهن قرية المدينة...شعراؤها الفحول خمسة...أشعرهم حسان بن ثابت..."39، فلعلّ هناك مقاييس أخرى إلى جانب المقدرة الشعرية كانت تُستحبّ في اصطناع شخص شاعر السلطة في الواقع الجديد.

كان عبد الله بن رواحة الفارس، والشاعر، والمؤمن المتميّز هو أوّل من انتدبه النبي صلى الله عليه وسلّم للردّ على الخصوم، إذ جاء في معنى الحديث:"...أنّ النبي صلىّ اللّه عليه وسلّم لـّما قدم المدينة، تناولته قريش بالهجاء، فقال لعبد اللّه بن رواحة:...ردّ عنّي..."40، كان هذا الشاعر سيّداً من سادات قومه، قال عنه ابن سلاّم إنّه:"...عظيم القدر في قومه، سيّدا في الجاهلية، ليس في طبقته التي ذكرناها أسْود منه... "41، ومن الفضائل التي اتّصف بها فضيلة الكتابة"...وكان عبد الله بن رواحة يكتب في الجاهلية، وكانت الكتابة في العرب قليلة.."42، أمّا

في الإسلام فقد لَفت نظر النبي صلى الله عليه وسلّم، وكان موضع ثقته منذ اليوم الأوّل، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلّم فيه"...نعم الرجل عبد الله بن رواحة..."43.

أثبت هذا الشاعر الأنصاري حضوراً في الجاهلية والإسلام، فقد كان ممن قال فيه النبيّ(ص):"...خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا..."44، فقد أكسبته خصاله النفسية والأدبية اندماجاً سلِساً في المجتمع الجديد، وإعلان الشاعر ولاءه للإسلام في هذا الظرف يُشير على أقلّ تقدير إلى"...استسلام التقليد الشعري الجاهلي للدين الجديد أو استغلال هذا الدين له..."45، واستغلال الخاصية الشعرية سيكون بالتأكيد وِفق خصوصية الصراع الذي سيختلف في جوهره عن الخصومات ا التقليدية، ويبقى على السلطة اختبار ذائقة الشاعر لاستقصاء مدى تمثّله للمتغيّرات المحيطة به.

كان استماع النبي صلى الله عليه وسلّم للشعراء الأنصاريين من أجل استقصاء مدى تمثّلهم لتعاليم الدعوة الجديدة، وضبط درجة الانعطاف التي ينبغي للشاعر أن يلتزم بها؛ حتى يكون على توافق مع التغيّرات التي حصلت في المجتمع الجديد، فممّا قاله النبي صلى الله عليه وسلّم لعبد الله بن رواحة:"...كيف تقول الشعر إذا قلته؟ قلت: أنظر في ذلك، ثم أقول. قال: فعليك بالمشركين...فأنشدته فلمّا قلت:

فخبِّروني أثْمان العَباءِ متى كنتُمْ بطاريقَ أوْ دانتْ لكمْ مُضرُ

قال: فكأنّي عرفت في وجه رسول الله ﷺ الكراهة..."46 ،فواضحٌ أنّ هذا البيت حمل تعريضاً مُنكراً بقريش، وخاصة عندما يُقرن بالبيت الذي سبقه:

يا آلَ هاشِم إنّ الله فضّلكم على البرّيةِ، ما لهُ غِيرُ

فقد جعل آل هاشم عشيرة النبي صلى الله عليه وسلّم في مقابل سائر قريش، ثم وصفهم بأثمان العباء و"العباء: كساء غليظ جاف...فجعلهم أثمان العباء في الخِسّة..."47، وفي الشطر الثاني تعريضٌ بقلّة الهمّة في الحرب ف"...البطريق: القائد الحاذق بالحرب وأمورها..."48، استهجن النبي صلى الله عليه وسلّم هذا المنهج في الهجاء، إذ لم يكن من مقاصد الشريعة هذا النمط من الخطاب الذي يُحمّل الجماعة مسؤولية الأفراد، فقريش(القبيلة الأم) لا ينبغي تحميلها ما تقوله فئةٌ من أبنائها(الشعراء)، فقد كان منهم من اعتزل النزاع، ومنهم من أخفوا تعاطفهم مع ما يحدث في المدينة، وسيؤذيهم هذا الهجاء.

استشعر ابن رواحة كراهة النبي صلى الله عليه وسلّم لهذا الهجاء، فانتقل إلى نمط آخر من الأداء، أكسبه تميّزاً عن غيره، فبعد ذلك"...كان عبد الله بن رواحة يُعيّرهم بالكفر،

وينسبهم إليه، ويعلم أنّ ليس فيهم شيء شرٌّ من الكفر..."49، فكان أداؤه يختلف عن معاصريه من الشعراء الإسلاميين، إذ"...كانت له زاويته الخاصة التي ينظر منها إلى الأمور، في مهاجاة الكفار والردّ على شعرائهم، وهو بذلك صاحب منهج متميّز، عمّا أخذ فيه صاحباه كعب وحسان..."50، فممّا كان يقول51:

عصيتُم رسولَ الله أفٍ لِدينكم ** وأمْرِكم السّيء الذي كان غاويا

أطعْناه لمْ نعـْدِله فينا بغيْرِه ** شِهاباً لنا في ظلمة اللّيلِ هاديا

لم يكن مثل هذا الخطاب الشعري (التغنّي بالعقيدة) لِيُحدث الأثر المطلوب في الخصوم (قريش وأحلافها)؛ فّمفهوم الكفر لمّا تترسّم قيمته السلبية في نفوس قريش"...فلمّا أسلموا وفقهوا الإسلام، كان أشدّ القول عليهم قول ابن رواحة..."52، فشكّل خطابه المغاير في شكله ومعانيه رسالةً شعرية مؤجّلة إلى عصرٍ قادم؛ إلاّ أنّ الحاجة الظرفية التي أمْلتها حدّة المعركة تطلّبت البحث عن صوتٍ(شعري) بديل يُحدث الأثر المطلوب، بالرغم الترضّي الذي أصبغه النبي صلى الله عليه وسلّم على ذلك الأداء.

3-4 كعب بن مالك: الاختيار البديل

لم يُحدث خطاب عبد الله بن رواحة(الهجاء) الأثر المتوقّع للحدّ من الفعل التدميري الذي أحدثته تحرّشات شعراء قريش وأحلافها؛ فقد كانت تزداد بشكل مطّرد وعنيف، متّخذةً من بلاغة الخطاب تعويضاً عن الفقر الفكري الذي لازم الجبهة المعادية(قريش وحلفائها)، إذ لم تكن لهم إيديولوجية دينية أو سياسية يُجمع عليها العرب53، مما تطلّب حملة إعلامية(شعر) لإضفاء المشروعية اللازمة.

كان إضفاء المشروعية على الموقف هو المطلب الرئيس لشعراء الجبهة القرشية المفتقرة لإيديولوجية واضحة، بينما وجّهت الدعوة الإسلامية الشعراء إلى إحداث مواجهة في حدود الردّ بالمثل(الهجاء)، لكن برؤية جديدة تُجسّد جانباً من التعاليم الدينية التي لا توغل في القدح، وتتجنّب الطعن في الأنساب، وعلى هذا النحو جاءت دعوة النبي صلى الله عليه وسلّم للشعراء، وكانت بمثابة اختبارٍ لقدراتهم في تمثّل الواقع الجديد، ومن ذلك كان الاستماع إلى ابن رواحة، وإبداء نوع من التحفّظ على بعض أقواله، ثم التوجّه إلى رفيقه كعب بن مالك، لعلّه يُحدث مواجهةً شعرية أكثر فعالية.

كان كعب بن مالك أنصارياً خزرجياً مثل عبد الله بن رواحة، فهو"...ابن أبي كعب بن القين بن سعد أبو عبد الله الأنصاري الخزرجي..."54، إلاّ أنّه لم يكن من سادات القوم مثل

رفيقه، غير أنّه ذو أصل شريف ومناقب لا تُنكر، قال عنه الأصفهاني"...ولكعب بن مالك أصل عريق وفرع طويل في الشعر..."55، وقال عنه أيضاً"...كان كعب بن مالك من شعراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم المعدودين... وله في حروب الأوس والخزرج التي كانت بينهم، قبل الإسلام آثار وذكر..."56.

كان كعب بن مالك من المقرّبين إلى النبي صلى الله عليه وسلّم، بما يجمعه من فضائل، منها"...كان كعب يُتقن الكتابة، ويعرف الحساب..."57 ولعلّ أكثر ما عُرف به هو الشعر، فقد بلغ ذكره إلى النبي صلى الله عليه وسلّم قبل أن يُسلم، فقد روى ابن هشام في السيرة أوّل لقاء بين النبي صلى الله عليه وسلّم وكعب، قال:"...فدخلنا المسجد...فقال رسول الله ﷺ للعباس: هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟ قال: نعم هذا البراء بن معرور، سيّد قومه، وهذا كعب بن مالك، قال: فوالله ما أنسى قول رسول الله ﷺ: الشاعر؟ قال: نعم..."58.

فعلت هذه الإشادة النبوية فِعلها في نفس كعب بن مالك(الشاعر) منذ اليوم الأوّل، وجعلته يُعلن ولاءه للدعوة الإسلامية، وينتظم في صفوف المجتمع النبوي قولاً وفعلاً، ويضع شاعريته في خدمة العقيدة؛ فمهّد سلوكه الايجابي السبيل أمام النبي صلى الله عليه وسلّم لاختيار النموذج المثالي للشاعر الذي سيقف إلى جانب السلطة الصاعدة في المدينة بشكل مراسيمي ليُجسّد تعاليم الدعوة، ويناهض خصومها في خطاباته (الهجاء، المدح...).

كان الخطاب الهجائي هو المطلب الرئيس في هذا الظرف الحرج الذي احتدم فيه الصراع مع قريش، ولعل تكييفه مع توجّهات العقيدة من الأولويات الملحّة للنبي صلى الله عليه وسلّم، ولم يكن من السهل على الشعراء الذين مرِنوا على تقاليد فنّية متوارثة أن يستجيبوا بسهولة إلى مُحدّدات تفرضها تعاليم الإسلام، إذ"...لا يمكن لجواد الشعر الجاهلي الجامح أن يُروّض في فترة قصيرة، فضلاً عن أنّ الدعوة جديدة كليةً...في أهدافها ومراميها..."59، فمن ذلك كان تنقّل النبي صلى الله عليه وسلّم بين الشعراء لاختيار أكثرهم استجابة للتحديثات المطلوبة، فبعد عليّ بن أبي طالب، وابن رواحة كانت الدعوة لكعب بن مالك.

جاءت الدعوة للشعراء بروايات مختلفة، لكنها اجتمعت على ترتيب موّحد للأسماء، فدائما(عبد الله بن رواحة ثم كعب بن مالك ثم حسان بن ثابت)، وكان واضحاً من تعقيبات النبي صلى الله عليه وسلّم على أدائهم أنّ الخطاب المطلوب ينبغي أن يكون مشحوناً بطاقة هجائية كافية لوضع حدٍّ لادّعاءات الشعراء القرشيين، قال ابن سلام:"...فقال لعبد الله بن

رواحة ردّ عنّي، فذهب في قديمهم وأوّلهم، فلم يصنع في الهجاء شيئاً، فأمر كعب بن مالك فذكر الحرب كقوله:

نصِلُ السّيوفَ إذا قَصُرنَ بخطْوِنا ** قُدُماً ونُلْحِقُها إذا لمْ تَلْحقِ

...فلم يصنع في الهجاء شيئاً..."60، وكذلك في الفخر، لم تُطاوعه قريحته في استيعاب نمط الخطاب الذي تطلبه الدعوة الجديدة، فقد استمع إليه النبيّ صلى الله عليه وسلّم يوماً وهو يُنشد، فاستهجن بعض قوله الذي كان فيه شيءٌ من دعوى الجاهلية، فوجّه إليه نقداً بلسان الداعية الديني الذي يحرص على حدود الشريعة، والموجّه السياسي الذي يبحث عن قناة لإيصال رسالته، قال ابن هشام:"... وكان كعب بن مالك قد قال:

مُجالِدُنا عن جِذْمِنا61كلّ فخمةٍ .....

فقال الرسول صلى الله عليه وسلّم: أيصلح أن تقول: مُجالِدنا عن ديننا؟ فقال كعب: نعم، فقال رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم: فهو أحسن، فقال كعب: مُجالدنا عن ديننا..."62.

لم تبلغ فعالية الخطاب الشعري عند عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك الأثر المطلوب، وكانت تعقيبات النبي صلى الله عليه وسلّم على أدائهما في حدود المجاملة اللّطيفة التي تُشيد بجهودهما، وتُثمّن حماسهما، جاء في إحدى الروايات التي تشير إلى طرف من رؤية النبي صلى الله عليه وسلّم للشعر والشعراء"...فدعا عبد الله بن رواحة، فاستنشده فأنشده، فقال: أنت شاعر كريم، ثم دعا كعب بن مالك فاستنشده فأنشده، فقال: أنت تُحسن صفة الحرب..."63، إلاّ أنّ الخطاب المطلوب في هذا الظرف الحرج كان ينبغي أن يتجاوز وصف الحرب والتعيير بالكفر إلى خطاب عنيف(هجاء)، يصل إلى مواقع تُثير حفيظة الخصم، ولم يكن أحد من شعراء المدينة، سواءً الذين أسلموا أو الذين لم يسلموا يُحسن إنشاء خطاب شعري يُحدث الأثر المطلوب أكثر من حسان بن ثابت الذي أخّرته خصاله النفسية عن رفيقيه، إلاّ أنّ شاعريته قدّمته عليهما، فصار شاعر النبي صلىّ الله عليه وسلّم(السلطة) بلا منازع.

4- 4 حسان بن ثابت: الاختيار الأمثل

انتدب النبي صلى الله عليه وسلّم لشعراء الأنصاريين الثلاثة لنصرة دعوته، وردّ تحرشات الشعراء القرشيين وحلفائهم، واستمع لأدائهم، وبدا مقتنعاً بأداء حسان بن ثابت أكثر من رفيقيه، جاء في إحدى الروايات"...أنّ رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلّم فقال: يا رسول الله إنّ أبا سفيان يهجوك...فقام إليه عبد الله بن رواحة، فقال: يا رسول الله إيذن لي فيه، فقال: أنت القائل: فثَبّت الله ما أتاكَ من حسنٍ، قال: نعم قال: وإيّاك فثبّت الله، ثم قام إليه كعب بن

مالك فقال: إيذن لي فيه، قال: أنت القائل: همّت؟ قال نعم، قال: لست له، ثم قام حسان بن ثابت فقال: يا رسول الله إيذن لي فيه، وأخرج لسانه...فقال أنت له..."64، وفي رواية الأغاني"...قال النبي صلى الله عليه وسلّم: من يحمي أعراض المسلمين؟...قال عبد الله بن رواحة أنا يا رسول الله...و قال حسان بن ثابت: أنا يا رسول الله، فقال: نعم اهجهم أنت، فإنه سيعينك عليهم روح القدس..."65.

وقع اختيار النبي صلى الله عليه وسلّم على أداء حسان بن ثابت، وتمّ إعلانه بشكل رسمي شاعراً للدعوة الإسلامية/السلطة؛ فقد أرضت شاعريته رغبة النبي صلى الله عليه وسلّم، وأسقطت ذلك الترتيب النمطي الذي كان يتوسّم الفعالية الشعرية في نماذج بشرية تجمع صفة الشاعرية، والفروسية، والسيادة بين القوم، وأكثر من ذلك الإيمان العميق بالدين، فاجتمعت هذه الصفات بدرجة أولى في عبد الله بن رواحة ثم كعب بن مالك.

لم يكن حسان يجاري رفيقيْه في خصال المجد (السيادة والفروسية)، إلاّ أنّه تقدّم عليهما بشاعريته، وفاعليته في الهجاء، وتمثّله لرؤية النبي صلىّ الله عليه وسلّم في إنشاء خطاب شعري(هجائي) ذكيّ، يعمد إلى فصل المهجوّ عن أصله، ويتتبّع مواضع القدح في خصمه، حتى يظهر الهجاء هجاءً شخصياً لا يُثير حفيظة عامة القبيلة، رويَ أنّ النبي صلى الله عليه وسلّم قال له:"...كيف تهجوهم وأنا منهم؟...فقال يا رسول الله: لأسلّنك منهم كما تُسلّ الشعرة من العجين..."66. رضي النبي صلى الله عليه وسلّم على هذا النمط من الأداء الشعري(الهجائي)، وأثنى على حسان وقدّمه على رفيقيه، وصار شاعره الأوّل، قال الأصفهاني"...بلغني أن رسول الله قال: أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن، وأمرت حسان بن ثابت فشفى واشتفى..."67.

كان إعلان الشعراء الأنصاريين ولاءهم للدعوة الجديدة بمثابة استسلام التقليد الشعري العربي للدعوة الدينية الجديدة، والذي استمرّ كمحرّك للأحداث، وحاملا لشفرة العقلية العربية التي عمدت السلطة إلى تكييفها مع الواقع المستحدث، بتوجيه قدرات الشعراء نحو تمثّل الرؤية الإسلامية في خطاباتهم، فكان حسان أكثرهم استيعاباً للمتغيّرات الواجب إحداثها للوصول إلى خطاب شعري فعّال يتوغّل في الذاكرة الاجتماعية، لتلمّس الأحداث التي تثير حفيظة الخصم، دون التركيز على الجانب الديني(التعيير بالوثنية)، فكان من استراتيجية الدعوة في هذه الفترة، أنْ"...لا نُبيّن للخصم أنّه يعبد آلهة مزيّفة، بل نحطّم حِدّة وقوّة مَثله

الأعلى..."68، فمن ذلك كان هجاء حسان أكثر إيلاماً لأنّه كان يركّز على إشاعة مواضع الضعف عند خصومه، دون أن يدخل معهم في جدل ديني.

كان هذا النمط من الخطاب الشعري الهجائي الذي يرُكّز على الجوانب الشخصية(الجانب الاجتماعي)، ويتجنّب الهجاء الديني والقبلي هو مقصد النبي صلى الله عليه وسلّم، فكان حسان أكثر تمثّلاً لهذا المنهج، فحظي بالقبول والترضّي أكثر من غيره، وأُعلن بشكل مراسيمي شاعراً للدعوة الإسلامية، فممّا ذكرته المصادر القديمة أنّه"...كان الرسول صلى الله عليه وسلّم ينصب له منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً..."69، فيُفاخر عن الإسلام ويُهاجي خصومه، كما وجّهه النبي صلى الله عليه وسلّم إلى الذاكرة التاريخية لقريش(أبي بكر الصديق) 70 ليُعلّمه مثالب القوم، وهاناتهم ليُوظّفها في شعره، فوفق هذه الرؤية المستحدثة سيتّخذ الأداء الشعري مساراً آخر يكون أكثر ارتباطاً بالسياسة، ويفتتح بذلك عصراً جديداً من الشعر السياسي، والذي أخذ اتّجاهات مختلفة، وارتكز على الهجاء بشكل رئيس، وكانت له تأثيرات قوية على العلاقات بين الأفراد والجماعات من بداية الدعوة إلى قيام الدولة الإسلامية الكبرى.

خاتمة: شكّلت المدوّنة الشعرية المواكبة للدعوة الإسلامية خلال عصر النبوة منعطفا حقيقيا في تاريخ الادب العربي القديم، فقد دفعت تلك الاحداث السياسية والدينية المتسارعة بالحركة الشعرية إلى وجهة غير معهودة-إلى حدٍّ ما- يمكن تلخيص نتائجها من خلال النقاط التالية:

1-توقيف شعر النقائض الذي ربط بين شعراء الأوس والخزرج في الجاهلية.

2- توجيه الحركة الشعرية اليثربية إلى مناقضة جديدة مع شعراء القريش.

3-نشاط الحركة الشعرية في قريش، بعد بروز شعراء لم يكونوا معروفين من قبل.

4-تأثّر شعراء (يثرب)المدينة المنورة بالمعاني الدينية المستحدثة.

5-تعزيز الإسلام لمكانة الشاعر وتحويله من صوت للقبيلة إلى صوت للجماعة (الأمّة).

6-استمرار الهجاء على لسان الشعراء الإسلاميين، مع تمايز في الأداء يمكن حصره في تيارين أساسيين:

أ- أحدهما مثل الاتجاه القديم في الهجاء ورفع رايته حسان بن ثابت، إذ استمر في أسلوبه التقليدي الذي تعمّد ذكر مساوئ الخصم، مع توظيف بعض المعاني الدينية، إلا أنّه لم يبلغ في ترجمتها وتوظيفها في أشعاره بالشكل المرجو، وكان تأثير هجائه ظرفياً..

ب-الاتّجاه الثاني مثّله عبد الله بن رواحة، إذ كان يهجو خصومه بالكفر ومخالفة العقيدة الإسلامية، وهو هجاء لم يحدث الأثر الظرفي بل كان أثره مؤجّلاً ظهر عندما انتشر الإسلام وقامت الدولة وتبوّأ بعض المقصودين بالهجاء لأمر السياسة والحكم.

مراجع البحث وإحالاته:

1- الجمحي: محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، شرح: محمود محمد شاكر، نشر دار المدني، المملكة السعودية، دط، دت، ص259.

2- ذكر جرجي زيدان أن عدد الشعراء المعروفين في الجاهلية حوالي 125شاعراً منهم 88 يرجعون إلى القبائل العدنانية، والباقون من اليمن والموالي) ينظر: جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال، مصر، دت، دط، ص64.

3- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، نشر جامعة بغداد، العراق، ط2، 1993، ج5، ص343.

4- المرجع نفسه، ج5، ص343.

5 - صيفي بن عامر...سيد الأوس وشاعرهم، ومن حكمائهم وخطبائهم، وقائد حروبهم في الجاهلية..." عزيزة فوال بابتي، معجم الشعراء الجاهليين، دار الصادر للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 1998، ص192.

6 - أبو يزيد: شاعر الأوس وأحد صناديدها في الجاهلية..." خير الدين الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم، ج5، دار العلم للملايين، لبنان، 2002، ص205.

7- فارس بني الأوس وشاعرهم في الجاهلية..." عزيزة فوال بابتي، معجم الشعراء الجاهليين، ص219.

8- كان عمرو بن طلّة قائد الخزرج في حربهم مع الأوس..." المرجع نفسه، ص252.

9- هو من أشراف الخزرج، وفارسهم وشاعرهم في الجاهلية، ومنهم من يعده من ملوك الحجاز في الجاهلية..." المرجع نفسه، ص234-235.

10- العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، تح: عادل أحمد عبد الجواد وعلى محمد معوّض، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1995، ج4، ص75.

11- خير الدين الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم، قاموس تراجم، ج5، ص228.

12- العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج2، ص55.

13- لم يكن حسان بن ثابت يشترك في القتال، وقد ذكرت بعض المصادر أنّه كان جبانًا، جاء في كتاب أسد الغابة"...وكان حسان من أجبن الناس، حتى أنّ النبي (ص) جعله مع النساء في الآطام يوم الخندق..." ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار ابن حزم، لبنان، ط1، 2012، ص270.

14- بول ريكور، من النص إلى الفعل، تر: محمد برادة- حسن بورقية، عين للبحوث والدراسات الاجتماعية، مصر، ط1، 2001، ص306.

15- قال ابن هشام فيما دار بين النبي صلى الله عليه وسلّم ووفد الأنصار في أوّل لقاء بمكة:"...و كان مما صنع الله لهم به في الإسلام، أن اليهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا قد عزّوهم في بلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إنّ نبياً مبعوث الآن، قد أضلّ زمانه، نتّبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلّم أولئك النفر ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: يا قوم تعلموا والله إنّه للنبي الذي توعدكم به اليهود، فلا تسبقنّكم إليه..." ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، تعليق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، ط3، 1990، ج2، ص77.

16- كارين ارمسترونغ، حقول الدم: الدين وتاريخ العنف، تر: أسامة غاوجي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، لبنان، ط1، 2016، ص279.

17- بول ريكور، من النص إلى الفعل، ص 302.

18- الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، تح: إحسان عباس- إبراهيم السعافين-بكر عباس، دار الصادر، لبنان، ط3، 2008، ج15، ص123.

19- بول ريكور، من النص إلى الفعل، ص302.

20- إحسان سركيس، الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام والدولة الأموية، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 1981، ص85.

21- بول ريكور، من النص إلى الفعل، ص303.

22- ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، لبنان، 1992، ج1،ص342.

23- المصدر نفسه، ص342.

24- ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، ج2، ص258.

25- ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج1، ص342.

26- بول ريكور، من النص إلى الفعل، ص178.

27- الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين، ج1، ص69.

28- إحسان سركيس، الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام والدولة الأموية، ص79.

29- عائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ، قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر، دار المعارف، مصر، ط2، دت، ص77.

30- الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، ج3، ص23.

31- هشام جعيط، الفتنة-جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبّكر، تر: خليل أحمد خليل، دار الطليعة، لبنان، ط8، دت، ص29.

32- ينظر: فاروق أحمد سليم، شعر قريش في الجاهلية وصدر الإسلام، دار معد للطباعة والنشر، سوريا، ط1، 1997، ص 90.

33- ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج1، ص342.

34- المصدر نفسه، ص342.

35- كارل مانهايم، الإيديولوجيا واليوتوبيا، تر: محمد رجا الديريني، شركة المكتبات الكويتية، الكويت، ط1، 1980، ص47(من المقدمة).

36- الجمحي: محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، ص217.

37- ينظر: الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، ج3، ص21.

38- كارين ارمسترونغ، حقول الدم: الدين وتاريخ العنف، ص280.

39- الجمحي: محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، ص215.

40- المصدر نفسه، ص217.

41- المصدر نفسه، ص223.

42- الزهري: محمد بن سعد، كتاب الطبقات الكبير، تح: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 2001، ج3، ص487.

43- العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج4، ص73.

44- الشوكاني: محمد بن علي بن محمد، نيل الأوطار: شرح منتقى الأخبار، تح: رائد بن صبري بن أبي علفة، بيت الأفكار الدولية، المملكة السعودية، ط1، 2004، ص1196.

45- سوزان بينكني ستيتيكفتش، القصيدة والسلطة، تر: حسن البنا عز الدين، المركز القومي للترجمة، مصر، ط1، 2010، ص 79.

46- الجمحي: محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، ص225.

47- المصدر نفسه، ص225(الحاشية).

48- المصدر نفسه، ص225.

49- الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، ج16، ص153.

50- وليد قصاب، ديوان عبد الله بن رواحة دراسة في سيرته وشعره، دار العلوم للطباعة والنشر، البلد؟، دط، 1982، ص81.

51- المرجع نفسه، 90.

52- الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، ج16، ص153.

53- ينظر: إحسان سركيس، الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام والدولة الأموية، ص86.

54- ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص1042.

55- الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، ج16، ص150.

56- المصدر نفسه، ص150.

57- كعب بن مالك الأنصاري، الديوان، تح: مجيد طراد، دار الصادر، لبنان، ط1، 1997، ص72.

58- ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، ج2، ص87.

59- إحسان سركيس، الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام والدولة الأموية، ص85.

60- الجمحي: محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، ص217.

61- " الجذم: "...جذم القوم أصلهم..." الفراهدي: الخليل بن أحمد، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2203، ج1، ص227.

62- ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، ج3، ص97.

63- القيرواني: أبو اسحاق إبراهيم بن علي، زهر الآداب وثمر الألباب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، لبنان،ط4،دت،ج1،ص62.

64- أحمد بن عبد ربه، العقد الفريد، تح: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1983، ج6، ص146/145.

65- الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، ج4، ص112.

66- ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص269.

67- الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، ج4، ص110.

68- كارل مانهايم، الإيديولوجيا واليوتوبيا، ص296.

69- ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص269.

70- وجّه النبي صلى الله عليه وسلّم حسان إلى أبي بكر وقال له:"...ائتِ أبا بكر، فإنّه أعلم بأنساب القومِ..." فكان يمضي إلى أبي بكر رضي الله عنه، ليقفه على أنسابهم، فكان يقول له: كُفّ عن فلانة وفلانة، واذكر فلانة وفلانة، فجعل يهجوهم، فلمّا سمعت قريش شعر حسان، قالوا: هذا شعرٌ ما غاب عنه ابن أبي قحافة..." ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص269.

قائمة المصادروالمراجع:

1-جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، نشر جامعة بغداد، العراق، ط2، 1993.2.

2-الجمحي: محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، شرح: محمود محمد شاكر، نشر دار المدني، المملكة السعودية، دط، دت.

3-جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال، مصر، دت، دط.

4-عزيزة فوال بابتي، معجم الشعراء الجاهليين، دار الصادر للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 1998.

5- خير الدين الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم، ج5، دار العلم للملايين، لبنان، ط15، 2002.

6-العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، تح: عادل أحمد عبد الجواد وعلى محمد معوّض، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1995، ج4.

7- ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار ابن حزم، لبنان، ط1، 2012.

8-بول ريكور، من النص إلى الفعل، تر: محمد برادة- عين للبحوث والدراسات الاجتماعية، مصر، ط1، 2001.

9-ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، تعليق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، ط3، 1990، ج2.

10-كارين ارمسترونغ، حقول الدم: تر: أسامة غاوجي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، لبنان، ط1، 2016.

11-الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، تح: إحسان عباس- إبراهيم السعافين-بكر عباس، دار الصادر، لبنان، ط3، 2008، ج15.

12-إحسان سركيس، الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام والدولة الأموية، دار الطليعة للطباعة، لبنان، ط1، 1981.

13-ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، لبنان، 1992، ج1.

14-عائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ، قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر،دار المعارف، مصر، ط2، دت.

15-هشام جعيط، الفتنة-جدلية الدين والسياسة، تر: خليل أحمد خليل، دار الطليعة، لبنان، ط8، دت.

16-فاروق أحمد سليم، شعر قريش في الجاهلية وصدر الإسلام، دار معد للطباعة والنشر، سوريا، ط1، 1997،

17-كارل مانهايم، الإيديولوجيا واليوتوبيا، تر: محمد رجا الديريني، شركة المكتبات الكويتية، الكويت، ط1، 1980،

18-الزهري: محمد بن سعد، كتاب الطبقات، تح: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 2001، ج3،

19-الشوكاني: محمد بن علي بن محمد، نيل الأوطار: شرح منتقى الأخبار، تح: رائد بن صبري بن أبي علفة، بيت الأفكار الدولية، المملكة السعودية، ط1، 2004.

20-سوزان بينكني ستيتيكفتش، القصيدة والسلطة، تر: حسن البنا، المركز القومي للترجمة، مصر، ط1، 2010.

21-وليد قصاب، ديوان عبد الله بن رواحة، دار العلوم للطباعة والنشر، البلد؟، دط، 1982،

22-كعب بن مالك الأنصاري، الديوان، تح: مجيد طراد، دار الصادر، لبنان، ط1، 1997.

23- الخليل بن أحمد، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2003.

24-القيرواني: أبو اسحاق إبراهيم بن علي، زهر الآداب وثمر الألباب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، لبنان، ط4،دت،ج1،

25-أحمد بن عبد ربه، العقد الفريد، تح: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1983، ج6.